@ 431 @ مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف وأنهم لا يضعون أسلحتهم فنزل { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ مِنْكُمْ } . وروي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال بعضهم ما أتى علينا يوم نأمن من فيه ونضع السلاح ، فقال النبي صلى ا عليه وسلم) : (لا تغبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليسمعه حديدة) . قال ابن عباس : وهذا الوعد وعده ا أمّة محمد صلى ا عليه وسلم) في التوراة والإنجيل . والخطاب في { مّنكُمْ } للرسول وأتباعه و { مِنْ } للبيان أي الذين هم أنتم وعدهم ا أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم خلفاء . وقوله { فِى الاْرْضِ } هي البلاد التي تجاورهم وهي جزيرة العرب ، ثم افتتحوا بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا . وفي الصحيح : (زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي عنها) . قال بعض العلماء : ولذلك اتسع نطاق الإسلام في الشرق والغرب دون اتساعه في الجنوب والشمال . قلت : ولا سيما في عصرنا هذا بإسلام معظم العالم في المشرق كقبائل الترك ، وفي المغرب كبلاد السودان التكرور والحبشة وبلاد الهند . .

{ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ } أي بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة . وقيل : هو ما كان في زمان داود وسليمان عليهما السلام ، وكان الغالب على الأرض المؤمنون . وقرىء { كَمَا اسْتَخْلَفَ } مبنياً للمفعول . واللام في { لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ } جواب قسم محذوف ، أي وأقسم { لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ } أو أجرى وعد ا لتحققه مجرى القسم فجووب بما يجاوب به القسم . وعلى التقدير حذف القسم بكون معمول { وَعْدُ } محذوفاً تقديره استخلافكم وتمكين دينكم . ودل عليه جواب القسم المحذوف . وقال الضحاك : هذه الآية تتضمن خلافه أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ لأنهم أهل الإيمان وعمل الصالحات . وقال صلى ا عليه وسلم) : (الخلافة بعدي ثلاثون) انتهى . ونيدرج من جرى مجراهم في العدل من استخلف من قريش كعمر بن عبد العزيز من الأمويين ، والمهتدين با في العباسيين . .

{ وَلَيُمَكّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ } أي يثبته ويوطده بإظهاره وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله . و { الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ } صفة مدح جليلة وقد بلغت هذه الأمة في تمكين هذا الدين الغاية القصوى مما أظهر ا على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم من لدن آدم إلى زمان هذه الملة المحمدية . وقرأ الجمهور {

وَلَيُبَدّلَنّهُمْ } بالتشديد وابن كثير وأبو بكر والحسن وابن محيصن بالتخفيف . وقال أبو العالية : لما أظهر ا عز وجل رسوله صلى ا عليه وسلم) على جزيرة العرب وضعوا السلاح وآمنوا ، ثم قبض ا نبيه عليه السلام فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة ، فأدخل ا عليهم الخوف فغيروا فغير ا ما بهم . .

{ يَعْبُدُونَنِى } الظاهر أنه مستأنف فلا موضع له من الإعراب كأنه قيل : ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال { يَعْبُدُونَنِى } قاله الزمخشري . وقال ابن عطية : { يَعْبُدُونَنِى } فعل مستأنف أي هم { يَعْبُدُونَنِى } ويعني بالاستئناف الجملة لا نفس الفعل وحده وقاله الحوفي قال : ويجوز أن يكون مستأنفاً على طريق الثناء عليهم أي هم { يَعْبُدُونَنِى } . وقال الزمخشري : وإن جعلته حالاً عن وعدهم أي وعدهم ا ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحله النصب انتهى . وقال الحوفي قبله . وقال أبو البقاء : { يَعْبُدُونَنِى } حال من { لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ } و { * ليبدلنهم } { بِرَبّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ } بدل من { يَعْبُدُونَنِى } أو حال من الفاعل في { يَعْبُدُونَنِى } موحدين انتهى . والظاهر أنه متى أطلق الكفر كان مقابل الإسلام والإيمان وهو ظاهر قول حذيفة قال : كان النفاق على عهد النبيّ صلى ا عليه وسلم) ، وقد ذهب ولم يبق إلاّ كفر بعد إيمان . قال ابن عطية : يحتمل أن يريد كفر هذه النعم إذا وقعت ويكون الفسق على هذا غير مخرج عن الملة . قيل : ظهر في قتلة عثمان . .

وقال الزمخشري : { وَمَن كَفَرَ } يريد كفران النعمة كقوله { فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ } { فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة . والظاهر